مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com ISSN online: 2414-3383 ISSN print: 2616-3810
العدد (33) كانون الثاني - يناير 2019

التواصل في رواية "بابا سارتر" للروائي علي بدر

م.م.نهلة حسين طه
قسم اللغة العربية
كلية التربية – جامعة صلاح الدين
اربيل – العراق
ايميل: nahla.taha@su.edu.krd

م.م.بوتان لطيف عبدالقادر
قسم اللغة العربية
كلية التربية – جامعة صلاح الدين
اربيل - العراق
ايميل: botan.abdulqdir@su.edu.krd

الخلاصة

إن الخطاب الروائي خطاب تواصلي، من أجل التفاهم بين كاتبها وقارئها، وكذلك فعل كلامي، وأداء مسرحي؛ لإيصال غاية الكاتب وأفكاره. إن رواية "بابا سارتر" للروائي العراقي "علي بدر"، كخطاب تواصلي؛ هي ميدان هذه الدراسة الموسومة بـ (التواصل فى رواية "بابا سارتر" لـ "علي بدر")، ونحاول من خلالها أن نسلط الضوء على أنماط التواصل في هذه الرواية. وتكمن أهمية الدراسة؛ حيث إنها تحاول أن تكشف أنماط التواصل في هذه الرواية، وكيفية لجوء الكاتب إلى آلية الخطاب الروائي للتواصل مع المتلقي، وذلك بالتركيز على سيرة حياة فيلسوف عراقي، والوقوف على الأبعاد الخفية المنسية له لإيصاله بالمتلقي أيضا. وتتكون هذه الدراسة؛ من تمهيد ومحورين، ففي التمهيد تناولنا مفهوم التواصل لغة واصطلاحا، مع ملخص عن الرواية. وأما بالنسبة للمحورين؛ فقد تحدثنا من خلالهما عن أنماط التواصل في الرواية، ففي المحور الأول؛ تناولنا التواصل الذاتي، والتواصل الفلسفي. وأما في المحور الثاني؛ فتحدثنا فيه عن التواصل غير اللفظي، والخطاب والمتلقي. وأخيراً؛ توصلنا من خلالهما؛ إلى نقاط من النتائج، دوّنّها في خاتمة الدراسة.

Communication in the Novel "Papa Sartre" for the Novelist Ali Badr

ABSTRACT

The novelist discourse is a communicative discourse, in order to understand between the writer and reader, as well as my words, and theatrical performance; to communicate the writer's goal and ideas. The novel "Baba Sartre" of the Iraqi novelist "Ali Badr", as a letter of communication; the field of this study is characterized by (communication in the novel "Baba Sartre" to "Ali Badr"), and we try to shed light on the patterns of communication in this novel. The importance of the study, as it attempts to reveal patterns of communication in this novel, and how to resort to the writer to the mechanism of the novel discourse to communicate with the recipient, focusing on the biography of the life of an Iraqi philosopher, and to identify the hidden dimensions forgotten to communicate with the recipient as well. This study consists of two parts. In the preface, we discussed the concept of communication, language and terminology, with a summary of the novel. As for the two axes, we talk about the patterns of communication in the novel. In the first, we deal with self-communication and philosophical communication. In the second axis, we talk about non-verbal communication, speech and the recipient. Finally, we reached through them, points of results, and wrote them at the conclusion of the study.

المقـدمــة

إن الحديث عن التواصل يقتضي الحديث عن محاولة هابرمانس الأولى في وضع أسس له كنظرية مستقلة، وكذلك للربط بين عقلية التواصل والفكر، ويؤكد على أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لكل النظريات الأخرى في المجتمع، لذا حاول أن يستكمل المفهوم الأداتي بإضافة المنطلق التواصلي للعقلانية والتفكير في التواصل مع المحيط الوجودي الذي يكون الإنسان فيه. ونجد ذلك في نظريته الموسومة بـ " نظرية الفعل التواصلي". لذا؛ إن الكثير من الباحثين يلوزون إلى التواصل، لاسيما في مجال اللسانيات الحديثة، والنظريات النقدية الحديثة كالبنيوية ونظرية التلقي، لأن التواصل آلية وعملية بين الأفراد في المجتمع، وأداة ربط بين العلوم الإنسانية خاصة والعلوم البحتة الأخرى عامة، حيث أن من خلالها يتواصل الباحث والمبدع والأديب والعالم وما إلى ذلك مع المتلقين، إذ إن قوامها هو العقل والكلام، وأهيمة التواصل تكمن في التفاهم بين طرفين أو أكثر، واللافت للنظر؛ هو حضور النظريات النقدية الحديثة للظواهر الأدبية وقضايا النقدية، لاسيما نظرية التواصل ونظرية التلقي، والخطاب، التي تتجلى كثيرا في الحداثة وما بعدها.

إن الخطاب الروائي خطاب تواصلي، المبني على الفكر التواصلي، إذ إن الرواية مدينةٌ عنكبوتية، فالروائي ينظم العلاقات والوظائف فيها، ومن خلالها يتواصل مع المتلقي؛ أي خار نص الرواية، لذا من الممكن أن نقول؛ إن العلاقة بين الرواية والتواصل علاقة عضوية وثيقة، هذه العلاقة قائمة على أسس فكرية وعقلية، موثوقة برموز وإشارات لغوية وجسدية، وكذلك بالفعل الكلامي، والأداء المسرحي؛ لإيصال غاية الكاتب وأفكاره.

إن رواية "بابا سارتر" للروائي العراقي "علي بدر"، كخطاب تواصلي؛ هي ميدان هذه الدراسة الموسومة بـ (التواصل فى رواية "بابا سارتر" لـ "علي بدر")، ونحاول من خلالها أن نسلط الضوء على التواصل في هذه الرواية.

تكمن أهمية الدراسة؛ حيث إنها تحاول أن تكشف أنماط التواصل في هذه الرواية، وكيفية لجوء الكاتب إلى آلية الخطاب الروائي للتواصل مع المتلقي، وذلك بالتركيز على سيرة حياة فيلسوف عراقي، والوقوف على الأبعاد الخفية المنسية له لإيصاله بالمتلقي أيضا.

تتكون هذه الدراسة؛ من تمهيد ومحورين، ففي التمهيد تناولنا مفهوم التواصل لغة واصطلاحا، مع ملخص عن الرواية. وأما بالنسبة للمحورين ؛ فقد تحدثنا من خلالهما عن أنماط التواصل في الرواية، ففي المحور الأول؛ بيّنا التواصل الذاتي، والتواصل الفلسفي. وأما في المحور الثاني؛ فتحدثنا فيه عن التواصل غير اللفظي، والخطاب والمتلقي. وأخيراً؛ توصلنا من خلالهما؛ إلى نقاط من النتائج، دوّنّها في خاتمة الدراسة.

التمهيد

1- التواصل لغة واصطلاحا

أ- التواصل لغة

بالرجوع إلى مادة وصل فان" الواو والصاد واللام: اصل واحد يدل على ضم شيء الى شيء حتى يَعْلَقَه"(ابن فارس، 1979: 115/6)، والتواصل في اللغة من الجذر" و ص ل" على صيغة التفاعل الذي يفيد الاقتران والاتصال والصلة والترابط والتتابع والابلاغ، واصله الفعل الثلاثي"وصل" الذي يعني خلاف الهجران، ومن المعاني ذات الصلة به: التواصل ضد التصارم(الانقطاع" (ابن منظور، مادة وصل).

أما عن المعنى اللغوي الاجنبي للاتصال لقد ورد هذا المفهوم في الكلمة اللاتينية Communis التي تعني في اللغة الانكليزية Comman أي مشترك أو اشتراك، فعندما نحاول أن نؤسس اشتراكا مع شخص أو مجموعة من الاشخاص، اشتراكا في المعلومات والافكار أو الاتجاهات (محمود عودة، 1992/ 5).

ب- التواصل اصطلاحا:

كان للتواصل معان وتعريفات عديدة، فهو يعد الطريقة التي تنتقل المعرفة والافكار بها من شخص أو جهة إلى شخص آخر أو جهة أخرى بقصد التفاعل والتأثير المعرفي أو الوجداني في هذا الشخص أو اعلامه بشيء أو تبادل الخبرات والأفكار معه، أو الارتقاء بمستواه الجمالي أو إقناعه بأمر ما أو الترفيه عنه، وقد يكون هذا التواصل ذاتيا شخصيا او تواصلا غيريا.

ويعرف شارل كولي التواصل قائلا: " التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الانسانية وتتطور، انه يتضمن كل رموز الذهن، مع وسائل تبليغها عبر المجال، وتعزيزها في الزمان، ويتضمن ايضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والتلغراف والتلفون، وكل مايشمله اخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان"(حمداوي، 2015/ 6). ويعرف كارل هوفلاند التواصل قائلا:" التواصل عملية يقوم بموجبها شخص(المرسل) بإرسال منبه(رسالة) بقصد تعديل أو تغيير سلوك شخص آخر (المستقبل) (عطيوي، 2001/ 90).

ويقول الباحث جورج لندبرج إن كلمة التواصل تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز(جيهان احمد، 1978/ 50)، وفي هذا التفاعل يتم نقل افكار ومعلومات (منبهات) بين الأفراد عن قضية معينة، أو معنى مجرد أو واقع معين، فنحن حينما نتصل نحاول أن نشرك الآخرين ونشترك معهم في المعلومات والأفكار، فالتواصل يقوم على مشاركة المعلومات والصور الذهنية والآراء (جيهان احمد، 1978/ 53).

وعلى هذا الاساس فالتواصل هو (تلك العملية التي يعبر فيها الانسان عن افكاره إلى الآخرين بهدف التأثير فيهم وتعديل اتجاهاتهم أو الابقاء عليها، وهذا يتطلب تحديد: (عبداللطيف .../ 118).

1- نوعية الوسائل المستخدمة في التعبير
2- نوعية الموضوع أو الافكار
3- مدى الوضوح في عرض الافكار والموضوعات.

فالتواصل هو تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا او قولا موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو اجابة واضحة أو ضمنية، وذلك تبعا للنموذج الذي اصدره المتكلم (مرتاض،... 78)، وتعتبر عملية الاتصال عملية ديناميكية، فنحن نتأثر بالرسائل الاتصالية الواصلة إلينا فنغير معلوماتنا واتجاهاتنا وسلوكنا، وفي المقابل فإننا نؤثر في الناس بالاستجابة لهم وتبادل الرسائل الاتصالية معهم بهدف التأثير على معلوماتهم واتجاهاتهم وسلوكهم. فعملية التواصل بصفتها عملية تفاعل اجتماعي تمكننا من التأثير في الناس والتأثر بهم، مما يمكننا أن نغير من أنفسنا وسلوكنا بالتكيف مع الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وهي كذلك عملية مستمرة، فنحن في اتصال دائم مع أنفسنا ومجتمعنا، وهي في الوقت ذاته عملية معقدة لما تحويه من أشكال وعناصر وأنواع وشروط يجب اختيارها بدقة عند التواصل (أبو عرقوب 1993/ 50-51) مما يخلق عملية تواصلية ذات أهداف ووسائل معينة.

عناصر العملية الاتصالية

لفهم عملية التواصل لابد من التطرق إلى مجموعة العناصر المكونة للعملية الاتصالية، وهي: (نادية، 2015/ 20)

1- المرسل: هو الشخص الذي يكون لديه مجموعة من الأفكار والمعلومات المتأثرة بشخصيته، توقعاته، أهدافه وطموحاته التي يود نقلها إلى الطرف الآخر، ويعتبر ركنا حيويا في الدائرة التواصلية اللفظية.
2- الرسالة: هي الرموز التي تعبّر عن افكار المرسل، تاخذ شكل الكلمات، حركات، اصوات، حروف،ارقام، إيماءات، ويمثل الجانب الملموس في العملية التخاطبية.
3- المرسَل إليه: يستقبل الشخص المرسل إليه الرسالة من خلال حواسه المختلفة ثم يقوم بتنظيم واختيار المعلومات وتفسيرها، حيث أن هذه الأخيرة كذلك تتأثر بشخصية المرسل إليه، أسلوب إدراكه، دوافعه، وحالته النفسية.
4- القناة(وسيلة نقل المعلومة): وهي عبارة عن الوسيلة التي يتم من خلالها نقل الرسالة او ارسالها فهي تعتبر بمثابة الربط بين المرسل والمستقبل دون وجودها لاتتم العملية الاتصالية ففي عملية الاتصال يختار المرسل وسيلة لنقل رسالته، اما شفويا أو عن طريق وسيلة كتابية او قد تكون هذه الوسيلة سمعية اوبصرية معا.
5- الشفرة: نسق القواعد المشتركة بين الباث والمتلقي الذي بدونه لايمكن للرسالة ان تفهم أو تؤول (حمدان، 2009/ 52).

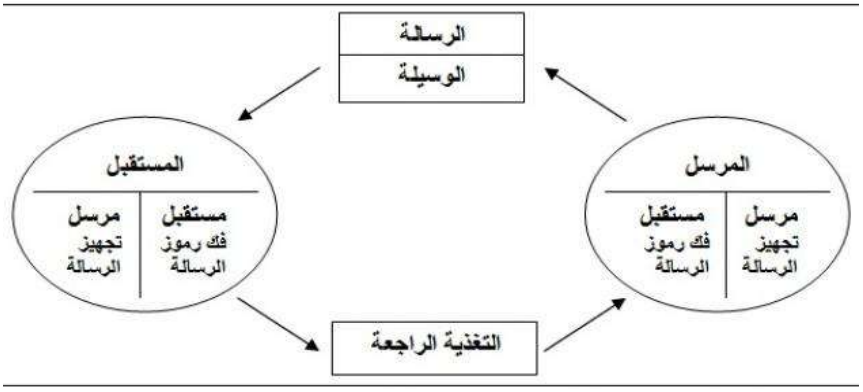

Communication Process

1- ملخص الرواية:

إن رواية "بابا سارتر" للروائي العراقي "علي بدر"، تدور أحداثها حول سيرة حياة فيلسوف عراقي سارتري، الذي يعيش في بغداد مدينة الصدر؛ لذا تدعى بالفيلسوف الصدري السارتري أيضا. ويمكن أن نقول؛ بأن الروائي قام بكتابة السيرة الذاتية للفيلسوف السارتري (عبدالرحمن). وهذه الرواية؛ موزعة إلى ثلاث رحلات، ففي الرحلة الأولى؛ يبحث الروائي عن طريق الراوي عن الفيلسوف، ويجمع المعلومات حوله. أما الرحلة الثانية؛ وهي رحلة الكتابة، ويقوم الراوي بتقديم شخصية (عبدالرحمن)، الذي يشبه (سارتر) الفيلسوف في معظم أوصافه غير الأعور، وهو الشخصية الرئيسة في الرواية. وأما الرحلة الثالثة؛ يصل الراوي فيها إلى نهاية عمله الدئوب، وكان (حنّا) معه إلى نهاية الرحلة، وانتهاء كتابة حياة الفيلسوف وسيرته، وتترك الرواية ختام حياة الفيلسوف على احتمالات ثلاث للمتلقي، فالاحتمال الأول؛ إنه مات إثر عملية انتحار، والثاني؛ أنهى حياته، والثالث؛ مات نتيجة العداء بين التروتسكية والوجودية، لربما هي الطريقة المثلى لتصفية الحسابات، بعدما تزوج "آدمون" الناهض للتروتسكية من "نادية"، التي قامت برفض الفيلسوف "عبدالرحمن"، إذ إنه أصابه الجنون، لأنه وجد زوجته "نادية" غير عذراء، وكان "إسماعيل" السلفي خان الفيلسوف وارتكب خيانة مع زوجته" جرمين)، وكانت الفضيحة قاسية عليه، لذلك **(الوثائق تؤكد تاريخ وفاته بعد أسبوع واحد من الكارثة، جرمين رحلت إلى باريس، إسماعيل اختفى، إدمون هاجر إلى أستراليا، ونادية لا يعرف عنها شيء، أكانت هذه الحادثة مؤامرة تروتسكية، دبّرها إدمون مع إسماعيل؟!.. هل خان إسماعيل؛ عبدالرحمن من تلقاء نفسه؟!.. أكان بحاجة إلى باعث للخيانة، وهو خائن على الدوام؟!.. أم أنّ الزوجة أرادت خيانة زوجها المنشغل بغثيانه وعبثه مع العاهرات في الملاهي؟!..)** (بدر، 2016/ 209-210). ورصد الروائي الحياة في تلك الفترة بين الناس بمختلف ألوانهم؛ من المسلمين والمسيحيين واليهوديين، وكذلك سجل الصراع الفكري الدائر آن ذاك بين الوجودية والقومية والشيوعية، وانعكست هذه الخلفيات الفكرية والعقائدية على الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

وأما الزمان والمكان في الرواية؛ يدور في مدينة بغداد في الستينيات من القرن الماضي، وبرز فيه التقسيمات الطبقية بين المحلات الفقيرة ومنازل الأرستقراطيين في المحلات الراقية.

وأما فيما يتعلق بالشخصيات؛ إن الروائي يعلم تفاصيل الأمور حول الشخصيات في كيان الرواية، ولربما الراوي هو المؤلف أيضا، وهو يقوم بتقديم الشخصيات على النحو الآتي: الشخصية الرئيسة فيها هو "عبدالرحمن" الفيلسوف العراقي المتأثر بالفلسفة الوجودية لسارتر، الذي كان تلميذ الفيلسوف سارتر، و"حنا يوسف" ذو السحنة المرعبة الغريبة، و"نونو بهار" صديقته الخليعة، وشخصية "الأثوري" الذي هو وزوجته نقطتا الدالة لبيت "حنّا يوسف" والتواصل مع الفيلسوف، و"جرمين" التي هي زوجة الفيلسوف، و"دلال" التي ترقص وبالراقصة تقلبت حياتها بتقلب السياسة والأفكار في بغداد وتلهب الفيلسوف بفمها الأحمر القاني الملتهب، و"إسماعيل حدوب" صديقه

الخائن والانتهازي، الذي يمثل السلفي المنقلب من الشيوعية إلى الوجودية، و"شاؤول" اليهودي الشيوعي الذي هو خصيم الفيلسوف وحاول البقاء في هذا المكان المليء بالسعادة "بغداد"، وأما شخصية "إدمون" الذي يناصر التروتسكية، وحاول أن يثور من أجل تحطيم كل شيء، و"نادية خدوري" الفاتنة التي تمثل المرأة المضحية في التقلبات الفكرية والصدامات الثقافية الموجودة آن ذاك.

وأما بالنسبة للغة الرواية؛ فهي اللغة الفصحى المهيمنة على الرواية عامة، وفي بعض الأحيان مزج الروائي بين الفصحى والعامية الدارجة، مع بيان معنى الكلمات الدارجة الثقيلة، مثل: كلمة "زمال" التي تعني؛ الحمار، وكلمة "كَلّجية" التي تعني؛ بيت الدعارة، وكانت لغتها راقية وسلسة وجذابة.

أنماط التواصل في الرواية

1- التواصل الذاتي:

يحدث بين الفرد وذاته، لذا يعد هو المرسل والمستقبل في الوقت نفسه والرسالة هنا تتمثل في الفكر والمشاعر والاحاسيس ويكون الجهاز العصبي هو وسيلة الاتصال، ويقصد بها العملية التفاعلية التي تتم داخل الفرد نفسه، فهي عملية شخصية بحتة يتم فيها مخاطبة الانسان لذاته.

والتواصل مع الذات نوع خاص لا يحتاج إلى كلمات أو ألفاظ منتقاة لإجرائه، فهو تواصل ذهني داخلي غير مسموع في العالم الخارجي يفهم الانسان إشاراته دون الحاجة إلى ترجمتها إلى كلمات بعينها، وهذا الصوت الداخلي الخاص هو الصوت الذي ينطلق من الذات، ويعود إليها مباشرة، فلا يكتفي بالتعبير عن أبعاد شخصية وأحاسيسها الداخلية ودوافعها لكنه يتعدى ذلك إلى محاولة فهم نفسه بتعمق. حيث يتم النظر إلى الحياة ومحاولة تحديد أبعادها أو حتى تشويهها عن طريق وجهة نظر الشخص نفسه لتنعكس من خلاله هموم الذات وأحلامها وتصوراتها عن الناس والحياة عبر حديث داخلي يتصل بالعالم الخارجي الخاص بالانسان الذي يجد لنفسه فرصة تأمل وإعادة تركيب لمشهد الحياة على وفق رغباته (القحطاني،2011/ 28)، فيقذف من خلاله بما يختلج في داخله من أفكار ومشاعر يعرضها بحرية كاملة كاشفا عن البواعث والخواطر والمحفزات التي تكمن وراءها، والتواصل مع الذات يشكل من الذات شخصا آخر يتوجه بالحوار إليه يكون فيه الصوتان لشخص المتحدث نفسه، أحدهما صوته الخارجي العام،أي:صوته الذي يتوجه به إلى الآخرين، وآخر صوته الداخلي الخاص الذي لا يسمعه أحد غيره، فهو ما يجري داخل الشخصية، متحدثة إلى ذاتها، ويسمى بالانجليزية Monolgue والتواصل الذاتي يتصل بالشعر من حيث أنه ذلك الكلام الذي يسمع ولايقال وبه تعبر الشخصية عن أفكارها المكنونة، دون تقيد بالتنظيم المنطقي، فخواطر الانسان لا تقل أهمية أو دلالة عن كلامه أو أعماله وتسجيلها واجب على الفنان محتم (مرعي، 2007/ 62).

إن الروائي علي بدر لجأ إلى التواصل الذاتي كوسيلة لتوصيل أفكاره وغاياته، ونجد ذلك في روايته الموسومة بـ (بابا سارتر) وفي حقولها المختلفة، لا سيما عن طريق الراوي، إذ إنه الراوي العليم، الذي يعلم تفاصيل الأمور حول الشخصيات، ولكنه هو خارج الرواية، أي إن الروائي والراوي متساويان في المعلومات حول الشخصيات كلها في كيان الرواية، وحسب رأي الناقد الفرنسي (جون بويون) هذه هي الرؤية، بما أن الراوي يعلم ما يعلم الروائي، وهو يقوم بتقديم الشخصيات ويصفها، وهذه هي قناة من قنوات التواصل الذاتي بين الروائي مع كيانه الروائي، وكذلك هي المحاولة من أجل تواصله الذاتي مع المتلقي، فعلى سبيل المثال؛ إنه في مستهل الرواية يتواصل مع ذاته عن طريق الحوار الداخلي الوصفي، فهو يصف شخصيتي (حنّا يوسف) وصديقته الخليعة (نونو بهار) وذلك بغية الوصول إلى تواصله مع الفيلسوف العراقي (عبدالرحمن)، ويقول: **(الشيطان المدمر حنّا يوسف، حفار القبور ذو السحنة المرعبة، وصديقته الخليعة التي كان يُطلق عليها اسماً توراتياً غريباً (نونو بهار)، هما مَن أغوياني بكتابة سيرة حياة الفيلسوف العراقي الذي كان يقطن محلّة الصدرية إبان الستينيات.)** (بدر، 2016/ 7). وبما أن الراوي العليم يمتلك القدرة غير المحدودة على الوقوف على الأبعاد الداخلية والخارجية للأشخاص، فيكشف لنا عن العوالم السرية للأبطال

دون أن تقف في طريقه سقوف أو حواجز، وهو قناع من أقنعة المؤلف، ومن أكثر النماذج شيوعا وأقدمها (خليل، 2010/ 81). لذا نجد هنا أن الراوي الذي بدوره هو الروائي؛ من خلال هذا المقطع من الرواية المشحونة بالحوار الداخلي يستذكر لقائه مع(حنّا يوسف) و(نونو بهار)، اللذان أغوياه بكتابة سيرة فيلسوف عراقي. إنه هو المؤلف الذي يظهر في مستهل الرواية بغطاء الراوي العليم، الذي يشارك الشخصيات في مختلف أرجاء الرواية.

ونجد تواصل الروائي الذاتي مع الشخصية الرئيسة(عبدالرحمن) في الرواية عن طريق لقاءاته مع الشخصيات الأخرى، الذي هو الفيلسوف العراقي الصدري، وذلك من أجل التعرف على الأفكار الفلسفية عامة، والفلسفة العراقية المشحونة بسارتر خاصة؛ أي الفلسفة العراقية السارترية، وفي هذا المشهد الحواري الداخلي للراوي نجد ذلك: **(في المساء، بدأت أخطّ الصفحات الأولى من سيرة حياة الفيلسوف الوجودي العراقي الذي كان يُلَقَّب بـ (سارتر الصدرية)** (بدر، 35/2016). إذ إن الراوي يبدأ بكتابة سيرة حياته، وكانت المحطة الأولى في الرواية تختص برحلة الراوي في البحث عن جمع المعلومات حوله. وهذا التواصل تواصلا إيجابيا؛ لأنه وصل إلى غايته وبدأ بكتابة حياة الفيلسوف، وتواصل معه في تواصله مع أفكاره وحياته، ونقصد هنا من هذا اللقاء والالتقاء؛ التواصل الذاتي للروائي، وليس التواصل الذاتي المبني على الحوار الداخلي للشخصيات الأخرى الواردة في الرواية، ومع ذلك؛ فإن الروائي يستخدم الشخصيات كوعاء لإيصال أفكاره وغاياته، ذلك من خلال العلاقة والربط بين الشخصيات، فعلى سبيل المثال هذا المشهد الروائي الذي يتواصل الراوي مع ذاته فيه، بعد لقائه مع شخصين جالسين في مؤخرة المطعم: **(كنت أشعر بأنني أمام أشخاص، يجعلون من حياتهم نظاما متماسكا، ويتصوّرونها حياة ممتلئة كاملة، وأنها الحياة الوحيدة الجديرة بأن تُعاش، بل أكاد أقول إنهم لايستطيعون أن يتصوروا بأن هنالك حيوات من قبلهم، أو أن هنالك من حيوات بعدهم، وهكذا لم يستطيعوا أن ينظروا للأشياء إلا بمنظارهم هم، إلا بالمنظار الذي ضعوه هم لأنفسهم. كانا يأكلان دون توقف، دون أن يتركا لي فرصة للحديث، فما إن يتوقف أحدهما حتى يهجم عليَّ الآخر. وهكذا وجدتُ نفسي بين الاثنين. وكانا يطلبان مني بإلحاح أن أضع أشياء يقولانها على أنها أمور في غاية الأهمية، وهكذا كنتُ أسجّل ما يريدانه هما، لا ما أريده أنا)** (بدر، 29/2016-30). إن الراوي يلتقي مع هذين الشخصين، وهما يجبرانه على كتابة ما يريدان حول الفيلسوف، لذلك كان هذا التواصل تواصلا سلبيا؛ لأن الراوي أُجبر على التزامه بما يريدان هما، وليس ما يريده هو، وبهذا فقد منهجيته. وكان هذا التواصل تواصلا ذاتيا من جهتين؛ فهو تواصل الراوي الذاتي مع هذين الشخصين من جهة، وتواصل الراوي الذاتي مع نفسه من جهة ثانية، لذا فهو يتحدث لنفسه في حوار ضمني حول الواقع الذي فُرض عليه.

فالتواصل يشير إلى ما يفعله المتكلم بقوله، والغرض القصدي من ذلك هو التفاهم بين الذوات. وهو محصلة لعلاقة بين أنا وأنت مما يفسح الدال إلى تواصل مزدوج قائم على الحوار المتبادل في مظهره العقلاني المقرون بسياق لغوي تداولي يعتمد على البرهان وأسلوب المحاجة (مصدق، 2005/ 126).

2- التواصل الفلسفي:

إن الحديث عن التواصل الفلسفي؛ مرهون بالتفلسف العقلي التواصلي عند الفيلسوف هابرماس من خلال نظريته المشهورة بنظرية الفعل التواصلي، ويربط بين العقلانية التواصلية وفلسفة الخطاب الحداثي، وإن التواصل Communication دخل إلى حاضنة الفلسفة كإشكالية أخرى من خلال العلوم الإنسانية، منها علم الاجتماع واللسانيات، وعلم النفس والإعلام وما إلى ذلك.

ويرى هابرماس أن العقلانية التواصلية تقاس بالقدرة التي يحوزها الأشخاص المسؤولون والمشاركون في تفاعل ما على التوجه بالقياس إلى إدعاءات الصلاحية التي تستند إلى اعتراف ذاتي، فهذا العقل يضع مقاييس العقلنة (هابرماس، 1995/ 372). فإن مفهوم العقل التواصلي المتأصل في الممارسة اللغوية والموجه للتفاهم يتطلب من الفلسفة أن تأخذ على عاتقها من جديد إنجاز مهام نسقية، وهنا يمكن للعلوم الاجتماعية الدخول في علاقة تعاونية مع الفلسفة التي تقوم بمهمة العمل على تأسيس نظرية عقلانية (أبو النور حسن، 2012/ 142).

إن رواية (بابا سارتر) تحمل أبعاد فلسفية مثيرة، من خلال البحث عن سيرة فيلسوف عراقي متأثر بأفكار سارتر الفلسفية، إذ إن عنوانها كعتبة لها؛ إشارة إلى أن هذه الرواية هي رواية فلسفية، فإن الروائي من خلال الراوي يبحث عن الوثائق والمعلومات حول الفيلسوف العراقي المشحون بفلسفة جان بول سارتر، وهو يذهب إلى المنطقة التي عاش فيها "عبدالرحمن" الفيلسوف السارتري الصدري، وهو مدينة الصدر، ويلتقي مع "حنّا" وصديقته "نونو بهار"، يطلب منهما العون في هذا العمل، ونجد ذلك التواصل البدائي الفلسفي بين الراوي و"عبدالرحمن" الفيلسوف: (**"أنت ستكتب سيرة هذا الرجل، ونحن نقوم بتغطية نفقات جمع المعلومات، والوثائق، ومن ثم؛ سندفع لك". قال حنا، ثم أكملت نونوبهار: "سنعطيك اليوم وثائق أولية، وبعض الدلائل الجغرافية، ستكون نقاط انطلاقك، أرجوك، لا تتوقّع أن تكون المهمة شاقة، حياته بسيطة غاية البساطة". "أتتوقّعين ذلك؟" قُلتُ.**

"نعم"..

في الواقع كنت فرحت فرحا كبيرا بالمال الذي وعداني به، لاسيما أني كنت مفلسا إفلاسا، لا يعرف مقداره إلا صديقي الذي يعمل محققا في دار المخطوطات، وربما هذا ما أدركه الفضائحيان كلاهما، وحين أدركا فرحي، وقبولي بهذا الأمر، بدآ بجمع أوراق مختلفة، وملفات ضخمة، ووثائق كانت موضوعة بشكل غير مرتب في المكتبة التي كانت تقابلنا. وقال حنا: " هذه الوثائق مهمة، تساعدك على معرفة طفولته، وأيام دراسته وبعض المعلومات عن الشخصيات التي كانت تتصل به". وقالت نونوبهار: "هذه المعلومات والوثائق لاتكفي، إنما ستدلّك ـ فقط ــ من أين تبتدئ، والأمكنة التي ستجد فيها المعلومات والوثائق الأخرى المهمة") ((بدر، 2016/ 10 - 11). هنا يتحول الراوي إلى باحث، وكأنه يريد أن يخرج من حالة الفراغ وعالم البساطة والقعود؛ إلى عالم البحث وإثارة التساؤلات، إذاً؛ إنه في رحلة البحث عن مصير هذا الفيلسوف المنفي البعيد الخفي، وهذه هي النقطة الأولى لانطلاقه نحو التواصل معه فلسفيا ووجوديا" وهذا لم يقتصر على الراوي فقط؛ بل كانت الرواية كلها هي رحلة فلسفية للبحث عن الآخر، الذي بدوره هو كتلة من التساؤلات والغثيان من أجل إيجاد معنى للحياة.

إن الرواية تطرح قضية الوجود من خلال تساؤلات "عبدالرحمن" الفلسفية، الذي بدوره يبحث عن الوصول إلى مركز رفيع ومعنى لوجوده، ولو أن الفيلسوف بطبعه هو مغترب دائما، ونجد ذلك في هذا المشهد الروائي: **(كان عبدالرحمن يطمح إلى مركز رفيع باهر، وسلطة فعلية، وسمعة مجلجلة، إلا أن شعوره بعدم القدرة والعجز يلهبه فكرة أن الفيلسوف لا يعمل، إنما يفلسف. وحين عاد عبدالرحمن من باريس في زيارة صيفية لبغداد، قدّمه والده إلى رئيس الوزراء نوري السعيد في عام 1957 على أمل أن يستحدث له رتبة فيلسوف رئاسة الوزراء، بعد عودته نهائيا من باريس، وقد اهتم فخامة السياسي اللامع به اهتماما خاصا، ونصحه نصيحة، وظلت عالقة بذهنه على الدوام. " أنت فيلسوف، وعليك أن تفلسف، وإن العمل سيعوق فلسفتك، فالوظيفة لا تليق بك، ويمكنك أنت تستغني عنها، وأن تتركها لنا نحن عباد الله الذين لا شغل لنا بالأفكار السامية والأشياء العظيمة")** (بدر، 2016/ 48 - 49). تلقي الرواية هذا المشهد؛ على هذه المحاولة للفيلسوف لإيجاد معنى لكيانه العادي، مفارقة بين الوجه الذي يمثل التفلسف والأفكار السامية، والوجه الذي يمثل العمل العادي البسيط، وبهذه المفارقة؛ تسعى الرواية للتصالح في كيان الذات، التي أرادت أن تصل إلى قناعة واستقرار، وأن تخرج من الفراغ والإحباط في حياتها اليومي؛ بإيجاد وظيفة تليق بها، وهذا التواصل الوجودي الفلسفي المزدوج بين المفارقة والتصالح؛ يخلق نوعا من الغثيان، والعدمية، حيث أن على الفيلسوف أن يتفلسف ولا يشغل إلا بالأفكار السامية.

إن الفكرة لاتكون مفهوما مجردا؛ في الرواية، كما قد يكون ذلك في الفلسفة، ولكنها صورة محسوسة حية للحياة. إن هذه الفكرة تعرف للكاتب موضوعه ومادته، فهو يعرف من خلال فكرته ما يود أن يعبر عنه بالدقة (ثامر، 2012/ 97). ويمكن أن نقول هذه الرواية هي خطاب فلسفي يثير المتلقي نحو فهم أفكار سارتر الفلسفية التي تتجلى في شخصية "عبدالرحمن" الفيلسوف، وإنها رسالة التوفيق بين الطابع العراقي البسيط آنذاك وأفكار سارتر المتمثلة في الفلسفة الوجودية، وذلك لأن في الستينيات من القرن الماضي، يصعب على الواحد أن يدعى بأنه فيلسوف، يمكن أن نرى ذلك في هذا المشهد الروائي: **(وحين سأله إسماعيل حدوب يوما: "سارتر لماذ يكتب؟" قالها، وقد فغر فمه**

بانتظار إجابة الفيلسوف الذي أغمض عينيه مثل رسول، وأجاب: "سارتر شيء، ونحن شي آخر.. مايحقّ لسارتر، لايحق لغيره، سارتر يكتب؛ لكي يُترجم إلى العربية.. ومن ثم؛ لنقرأ، وإلا فخبّرني؛ لو كان سارتر لا يكتب، من أين لنا أن نسمع بسارتر؟.. سارتر شي آخر". الأشياء التي يحبها الفيلسوف كثيرة، وأقربها إلى نفسه تلك التي تُركِّز في ذهنه هذا الشعور الطاغي بالغثيان. لقد كانت الوجودية هي الفلسفة التي تخللت لحم المثقفين العراقيين في الستينيات بلا منازع، وإن وصول الفيلسوف إلى محلة الصدرية يعد أكبر حدث في الستينيات؛ حيث شغل فراغا فلسفيا عظيما، فلم يكن بإمكان المثقفين – آن ذك – انتظار ظهور فلسفة كبيرة، أو تأويل فلسفي لواحدة من الفلسفات الكبيرة في تلك الفترة، وإن كانوا ينتظرون هذا الحدث التاريخي بفارغ الصبر، وكانوا – وهذا ما أكده كل الستينيين دون استثناء – تائهين وسط فلسفات نصفية، وما إن كانوا على هذه الحالة من الارتباك والتشوش والتخبط، حتى جائهم عبدالرحمن ابن السيد شوكت، أكبر عقلية فلسفية في عصره، والذى ما كان لهم من دونه حل هذا الإشكال الفلسفي بصورة نهائية. كان اتِّباع الفيلسوف هو غير اتِّباع تابع الفلسفة، فعبدالرحمن هو فيلسوف، ولذا؛ فإن اتِّباعه هو غير اتِّباع سهيل ادريس تابع الفلسفة، ولذا؛ خرج المثقفون العراقيون في الستينيات جماعات جماعات لاتباع هذا الفيلسوف العظيم) (بدر، 2016/ 46-47 ، 63، 100 -101). إذاً فإن فلسفة سارتر؛ هي وجودية ذاتية، أي: تبحث عن ماهية الماهية، سؤال وجودي، وغثيان وعبثية، إن هذا التواصل تواصل فلسفي ذاتي من حيث أن عبدالرحمن يلتقي بهذه الفلسفة ويرتقي بها، وهو ذات مشحونة بفلسفته، أي: كتلة من الغثيان الوجودي، ونقطة التقاء واتّباع بين سارتر والمثقفين العراقيين آنذاك. وتتجلى هذه المسألة؛ من خلال الربط بين الشخصيات بمختلف قوانينهم وعاداتهم ومستواهم المعرفي والثقافي، وكذلك الربط بين الأمكنة المخلفة، أي بين بغداد وباريس، وهذه هي النقلة النوعية التاريخية التي كان ينتظرها المثقفون العراقيون، تمثل هذه الرواية؛ مقاربة فلسفية بين بغداد وباريس، بين شخصية عبدالرحمن وشخصية جان بول سارتر، بين الفلسفة الشرقية والفلسفة الغربية، بين حال المثقف العراقي في البلاد وخارجها، وكذلك هي أرض خصب بالمعلومات الحاشدة عن الفيلسوف عبدالرحمن، وجعلته نقطة محورية للموازنة أو بالأحرى؛ للمقارنة بين ثنائيات مختلفة؛ منها الفلسفة والدين، وبين التصوف والتفلسف، التسلف والتفلسف، التفلسف والجنون، الغنى والفقر، الخوف والشجاعة، والتفلسف بغداديا والتفلسف باريسيا أيضا. إذ إن عبدالرحمن لا يرى الوجودية إلى من خلال الشعور بالغثيان، لذا؛ يكمن أن نقول؛ كانت هذه الرواية متأثرة برواية سارتر الموسومة بـ"الغثيان". وتنتهي الرواية بالتقاء إسماعيل حدوب الخائن الوضيع والفيلسوف الإسلامي المفكر جمال الدين الأفغاني، حيث إنه يشبهه في الهيئة واللباس والوظيفة، وربما هذا تعليق نقدي للذين يشحنون أفكارهم وشكلهم بالدين والفلسفة الدينية عامة، لاسيما الحركات السلفية في بغداد الستينات آنذاك.

1- التواصل غير اللفظي:

وهو التواصل الذي يتم من خلاله تبادل المعلومات والاراء والافكار دون استخدام لغة الالفاظ أو مايعرف باستخدام لغة الجسد، ويكون هذا النوع من التواصل في شكل تعبيرات الوجه، الصمت والصوت، الاشارات والايماءات وقراءة تعبير حركة الشفاه (ماهر، 2003/ 32). ويلعب السلوك غير اللفظي دورا هاما في تواصلنا وعلاقتنا مع الناس، إذ يمثل العنصر الشفهي في المحادثة التي تتم وجها لوجه أقل من 36% بينما اكثر من 65% من التواصل يتم بكيفية غير لفظية (بينزن، 1997/ 5)، إذ أن لغة الجسد تعبر عن صورة صادقة للحياة، فنظرا لقصور الكلمة عن التعبير عما ننوي إيصاله للآخر نجد انفسنا مجبرين على الاستعان بأعضاء جسمنا كتعبيرات الوجه والتحديق بالعين أو تحريك الرأس أو تدعيم الأفكار بحركات اليدين كل هذه تساعد على التواصل وقد تدعم التواصل اللفظي نفسه (فاطمة، 2015/ 30). ويمكن ان يُظهر التواصل غير اللفظي الأفكار والمشاعر والمقاصد الحقيقية لشخص ما، ولذلك يشار في بعض الاحيان للسلوكيات غير اللفظية بأنها تصريحات " لأنها تخبرنا عن الحالة الفعلية الحقيقية للشخص (نافارو، 2010/ 14). وتجدر الإشارة إلى أهم مزايا التواصل غير اللفظي (العريني، 2011/ 9):

أولاً/ يعبِّر عن معلومات وجدانية، لايعبّر عنها بطريقة لفظية .

ثانياً/ التواصل غير اللفظي يعطي معلومات متصلة بمضمون الرسالة اللفظية، فهو يمدُّنا بأدوات لتفسير الكلمات التي نسمعها، مثل: نبرة الصوت، تعبيرات الوجه. وهكذا إضافة إلى أنه يفيد في فهم طبيعة العلاقة بين الأطراف المشتركة في عملية التواصل.

ثالثا/ الرسائل غير اللفظية تتميز بصدقها، لأنها غالبا لايمكن التحكم بها.

إن الروائي على بدر في روايته(بابا سارتر)؛ يتواصل مع القاريء تواصلا غير لفظيا، إذ إنه يلجأ إلى لغة الجسد مباشرة لإيصال أفكاره وغاياته، حيث يجمع المعلومات عن سيرة حياة فيلسوف عراقي من خلال اللقاء مع بعض الأفراد في المجتمع، وينقل منهم ما يتعلق بشخصية (عبدالرحمن) الفيلسوف السارتري، فعلى سبيل المثال؛ الراوي يقوم بتقديم شخصية (دلال) ووصفها في هذا المشهد: **(كانت دلال تلهب الفيلسوف بفمها الأحمر القاني الملتهب، الشفاه العريضة الشهوانية الملمومة على سيجارتها الكنت البيضاء، وهي تنفخ في وجهه الخان الذي يحمل رائحة المشروب، والعطر الذي تضعه، فيشعر بالتحرر الكلي الممزوج بدغدغة مهيّجة في جسده، وهي تهتز أمامه بصورة منتظمة، والعلكة تطق في فمها)** (بدر، 93/2016). نجد من هنا التواصل غير اللفظي بين الراوي وشخصية (دلال) من جهة؛ والرواي مع القاريء عامة من جهة أخرى، وهذا؛ من خلال تواصل بين الشخصيات في الرواية، إن شخصية (دلال) تلهب شخصية (عبدالرحمن) الفيلسوف، وتجعله أن يعشقها، ونرى ذلك من الإيماءات في جسدها، مثلا فمها الأحمر، الشفاه العريضة الشهوانية ومشيها المهتز أمامه، والعلكة في فمها، كل هذه الحركات والأوصاف والإشارات؛ هي قنوات التواصل بينهما دون الحاجه إلى كلمات أو ألفاظ، التي بها يتبادلان المشاعر.

إن الجسد لايفهم سياقاً ونصا إلا بتراتب الجمل الحسية، وانسجامها بما تحتويه من أعضاء هي حروف تُكوِّن كلمته الحركية عندما تشير أو تتشكل أو تسكن، وتتعاضد جميعا لتشكل جملا منتظمة ومتناسقة، تحمل في طياتها المشاعر والأفكار والانفعالات؛ لأنه بين ميلاد الجسد ولحظة دفنه تتشكل الحياة (عيد، 15/2010). ونجد هذا التواصل أيضا في مشهد حواري بين الراوي وشخصية (بقالة الأثوري)، التي تتمثل في القرائن الجسدية والإشارات والإيماءات، **(فسألته: "أين منزل الاب حنّا يوسف؟".. "من قال لك إنه اب؟!".. وانفجر الأثوري ضاحكا بشاربه الأبيضين المستقرين على فمه مثل حليب، كانت عيناه الزرقاوان الغائرتان ووجهه الناتئ العظام يتهكّمون. لم يُجبني. إنما أجابتني زوجته التي كانت تجلس إلى جانبه، وهي تشير إلى دوحة خضراء منتصبة في الساحة، قالت، وهي تشير بإصبعها النحيف: "هنا أماك". ولم يبق من ذكرى وجهها -الآن- سوى جدائلها المصفّفة، بشكل هالة منتصبة، وإطارات نظّارتها الطّبّيّة، وجهها الباكي الذي يذكّر بحواء بعد طردها من الجنة)** (بدر، 2016/ 8). إن (الأثوري) يضحك، في جوابه للراوي، وهذا الضحك إشارة إلى أنه يسخر منه ومن سؤاله، ولم يهتم به، هذه هى قرينة صوتية وحركة جسدية بالشفتين، وكذلك زوجته حينما تجيبه؛ تستخدم أصبعها لإفهامه، أي: بأصبعها النحيف تتحدث معه، فالأصبع عضو جسدي مساعد للإشارة إلى شيء ما، أو تحديده؛ من دون استخدام الكلمات أو الألفاظ، وإطارة النظارة والوجه الباكي؛ قرائن للجسد، التي تمثل لغة يفهم منها وبها غاية، ها هنا يذكّر الوجه الباكي للراوي صورة حواء بعد طردها من الجنة، وهذا يدل على فقدان شيء أو الحزن الخفي في عمقها.

فكل حركة أو إيماءة للجسم لها معنى، ويعبر عن شيء ما داخلنا سواء القلق والتفكير والمراوغة الكذب، هذه الإيماءات التي تصدر عن الشخص تكشف وعن طريقة نظره للأمور، وهي مسألة بسيطة نتعلمها بالملاحظة الدائمة للحركات التي يأتي بها الناس أثناء حديثهم (السلمان، 2005/ 57). وإن الجسد بمكوناته قناة لتوصيل معنى، وأداة ربط بين الناس في لقاءاتهم، فإن الفيلسوف الصدرية يلتقي بإسماعيل، مبتسما أولا، وقابله بارتياح ثانية، **(وقد قابل فيلسوف الصدرية هذا الهروب أول الأمر بالابتسام، ومن ثم؛ قابله بارتياح كبير، وحين رأى هيجان شاؤول وفقدانه لأعصابه، أصرَّ على الالتزام بإسماعيل؛ لأنه اختار حريته، والحرية التزام. لقد أثار هروب إسماعيل حدوب إلى عبدالرحمن فيلسوف الصدرية عاصفة من الشائعات، والتقوّلات التي تُغضب شاؤول، وتُدمّره، وتُثير عربدته وصياحه وهياجه، فكان يقف أمام متجره، ويصرخ بأعلى صوته مهدّداً بالانتقام بفم لا يكفّ عن التثاؤب، بفم ذابل، وهو يلفظ الراءات غاءات، مما يثير في جماهير الناس عواطف ساذجة من الضحك والسخرية)** (بدر، 86/2016، 87). إن إسماعيل

هرب من شاؤول نحو الفيلسوف، فالهروب هو لغة الخوف والقلق وعدم الاستقرار، أما الابتسام والارتياح؛ لغة للتفاؤل والاستقرار والطمأنينيه والراحة، لذا نجد أن شاؤول يغضب، وبصرخته يخاطبه، فأما الجماهير بعواطفهم الساذجة يخاطبون شاؤول ويهيجون أعصابه بالضحك والسخرية.

إذاً؛ يتضافر الجسد بكل آلياته من الأعضاء إلى توصيل معنى، بكل شحنته الشعورية وطاقته الإيحائية فتتعاضد كلها في لحظة زمنية متناغمة مثل الإيقاع الموسيقي، في وضعية معينة داخل نسق ثقافي، بأن تتبنى لغة الجسد تيمات ثقافية دخيلة تعمل مع مرور الوقت إلى تأصيلها من خلال التعامل المستمر بها، فتدخل في آليات إنتاج الجسدية التي هي الأعضاء، ونتبين إشارات ورموزا غير الموجودة في تكوين نسيج لغة الجسد الأسلية (بنكراد، 2003/ 20).

2- الخطاب والمتلقي:

إن مفهوم الخطاب في المعاجم العربية يشير إلى معنى المحاورة، إذ جاء في لسان العرب: " الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان ..، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة،(ابن منظور، ج1/ 361)، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك في فعل ذي شأنٍ، فالخطاب عند ابن منظور مرادفا للكلام، ويحدث عن طريق المشاركة بين متكلم وسامع.

والخطاب بمفهومه الاصطلاحي عرفه محمد مفتاح بانه:" مدونة كلامية، وحدث يتصل بالزمان والمكان، يُوصف بانه تواصلي، تفاعلي، منغلق في سمته الكتابية، له صفة التوالد والتناسل"(مفتاح،1985/ 120)، ويعرفه بعضهم تعريفا تواصليا، حيث وجدوا(أن الخطاب كلمة تستعمل للدلالة على كل كلام متصل اتصالا يمكنه من ان ينقل رسالة كلامية من المتكلم أو الكاتب (نصرالله، 2015/ 66)، وحيث ان الشعر يستخدم اللغة كأساس لبنيته، واللغة بطبيعتها وأصلها وسيط بين متخاطبين ووسيلة للتواصل بينهما، صحيح ان للغة وظائف لاتتطلب مخاطبا خارجيا، مثل التفكير، فنحن نفكر بوساطة اللغة، او الحوار الداخلي (المونولوج)، ولكننا يمكن ان نعتبر الذات نفسها في هذه الحالة مخاطبا، إذن فان هذ المخاطب الذي يستلزمه استخدام اللغة، سواء كان حقيقيا او متخيلا، او كان هو الذات نفسها، فانه في جميع الاحوال يشكل متلقيا ما، الشعرية تعتبر من أقدم وسائل الاتصال التي عرفها البشر، واهم وسيلة استعملها العرب قديما، فالشعر في الغالب يخاطب العواطف والمشاعر، والإنسان بطبيعته أكثر استعداداً للتأثر بالخطاب الوجداني، ولاسيما إذا كانت القضايا التي يدور حولها الخطاب الشعري وثيقة الصلة بحياة المجتمع، إذ أن الشعر يلعب دورا إعلاميا فاعلا من الناحية الثقافية من خلال المهارة والتشويق في تقديم المعلومات، ومن ثَمّ فإنه أكثر قدرة على تغيير المسار السلوكي للفرد، ليس بالقسر الخارجي، وإنما باندفاع ذاتي، وذلك لأن" الشعر من أسبق الفنون الأدبية إلى وجدان البشر، لما فيه من موسيقى وايقاعات متناغمة منسجمة تدغدغ الأحاسيس"(المشهراوي، 2012/ 5). إن الرواية جنس من الفن الأدبي، والخطاب الروائي؛ خطاب شعري إلا أنه عمليا لايندرج ضمن التصور الراهن للخطاب الشعري القائم على بعض المسلمات المقيدة، لقد انصب ذلك التصور خلال تكونه التاريخي من أرسطو إلى اليوم، على أجناس محددة "رسمية"، وهو مرتبط باتجاهات تاريخية معينة في الحياة، وأيضا بأفكار وكلمات، كذلك فإن ملحقا من الظاهرات قد ظل بمنأىً عن منظورات ذلك التصور (باختين، 1987/ 43).

يقول الدكتور علي جواد الطاهر(إنك لاتجد أدباً، كما لاتجد فناً لايكون من غايته التوصيل، والطرف الاول في التوصيل هو الأديب الذي يصوغ التجربة، والطرف الثاني الذي يتلقى التجربة هو السامع، أو القارئ، أو المشاهد، والسلك الموصل بين الطرفين هو اللغة التي تحمل التجربة"(الطاهر،.../ 29-30).

فالمعاني لاتنتقل من الكاتب الى القارئ وانما الذي يحدث في عملية التواصل ان الكاتب يمد السامع بجملة من الرموز يساعده عن طريقها على استحضار المعاني، فالكاتب يمد القارئ بمجموعة من الرموز ليترجمها الى معانيها في إطار خبراته وثقافته. فالمتلقي هو المستقبل للنصوص برؤيته التذوقية الخاصة، بغية فهمه وتحليله وتعليله، بحب ثقافته وطبيعة قراءاته، بمعزل عن مبدعي النصوص، فهو على هذا أحد طرفي الابداع في الخطاب، فلا يقتصر دوره على الاستقبال والتأثر، بل يتجاوز ذلك إلى التأثير والإبداع، والقدرة على اكتشاف جماليات الخطاب بتمييزها

والكشف عن قيم اختيار عناصره ووظائفها، إن قدرات المتلقين على فهم مراد المتكلم من كلامه تختلف اختلافا كبيرا، وهذا يرجع إلى أمرين: الأول التفاوت في الأذهان، والآخر: التفاوت في تحصيل الوسائل التي تعين على معرفة مراد المتكلم، وهي لاتتوقف على الألفاظ وحدها، لأن دلالات الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته (فنيخرة،../ 382). ويمكن أن نحدد العلاقة بين الخطاب الروائي والمتلقي في رواية (بابا سارتر) على مستويين، فالمستوى الأول هو علاقة الخطاب الروائي مع القاريء خارج النص(كيان الرواية)، حيث إن الروائيّ عن طريق التقنية الروائية يخاطب المتلقي باعتباره هو القاريء، أو بالأحرى هو المجتمع عامة، إذ إن هذه العلاقة بين المؤلف والقاريء مبنية على مبدأ الإثارة والاستجابة؛ لأن الروائي عن طريق الخطاب الروائي: أي النص يخاطب الجمهور، وتحمل الرواية رسالته المشحونة بأفكاره وغاياته، سواء أكانت هذه الرسالة اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم ثقافية عامة، ولها دلالات عديدة تؤديها الشخصيات الواردة في حقول الرواية عن طريق أدوارهم وفق آلية تقديمهم من قبل المؤلف. فعلى سبيل المثال هذا المشهد الروائي على لسان الراوي: **(في مساء، ألفيتُ نفسي أمام آلاف من الأوراق، والوثائق، والصور الفوتوغرافية، والمعلومات، والملاحظات التي تتحدث عن فيلسوف الصدرية. كلها تتحدث عن شخصية واحدة، فذة، شخصية فريدة من نوعها، شخصية تختصر العالم المأساوي لمجتمع بأكمله، شخصية تقدم الوحدة التراجيدية لأمة بأكملها)** (بدر، 31/2016). نجد في هذا المشهد الروائي مخاطبة الروائي للمتلقي خارج النص من خلال سرد محاولاته لجمع المعلومات عن شخصية (عبدالرحمن)؛ أي فيلسوف الصدرية، ويرسم من خلالها تراجيدية أمة بأكملها وهو الشعب العراقي.

يولد الخطاب داخل الحوار مثلما تولد إجابته الحيوية، ويتكون داخل فعل حواري متبادل مع كلمة الآخر، بداخل الموضوع. فالخطاب يُمَفهِم موضوعه بفضل الحوار. وهذا لايستفيد مسألة الصوغ الحواري الاخلي للحوار، فهي لا تلقى خطاب الآخرين داخل الموضوع فقط. فكل خطاب هو موجه نحو جواب، ولا يمكنه أن ينجو من التأثير العميق للخطاب – الإجابة، المرتقب (باختين، 1987/ 54). وأما المستوى الثاني؛ للعلاقة بين الخطاب الروائي والمتلقي في رواية (بابا سارتر)؛ فهو العلاقة الدائرية بين الراوي والشخصيات الوارة في الرواية، وذلك مبنيا على الحوار الجاري بين هذه الشخصيات، وبما ان لكل شخصية دورها؛ فمن خلال أدوارهم يخاطبون بعضهم بعضا. كما نجد في هذا المشهد الحواري بين (نادية) و (والديها): **(لقد علمها التنقل بين خيام المنكوبين، ومواساة الضحايا أهمية العمل، أهمية أن تعطي للناس شيئا من طيبتها وحنانها. وبعد شهر واحد من حادثة الفيضان، قالت لوالدها ووالدتها إنها ستبحث عن وظيفة. تريد أن تذهب إلى مكان آخر غير المنزل وغير الشركة:**

- **" أريد وظيفة.. أنا سأعمل"، وقالت، وهي تجلس على الأريكة بملابسها الجميلة، وقد وضعت دبوسا بهيئة فراشة في مؤخرة شعرها.**
- **"لماذا؟!.. لماذا تعملين؟!.. من أجل المال؟!.. المال تحت قدميك", .. قال والدها.**
- **" لا.. لا.. أريد أن أخرج إلى الناس، أريد أن اعتمد على نفسي".**
- **" أثّرت عليك هذه الأفكار السخيفة.. ها.."، قالت أمها، وهي تضع الكتاب المقدس على الطاولة المقابلة لها.**

إلا أن "نادية" أصرت على رأيها، وبعد ثلاثة أيام، ذهبت لتعمل في مكتبة مكنزي، وهناك تعّرفت إلى الفيلسوف القادم من باريس في زيارة لأهلة) (بدر، 180/2016).

إذاً؛ يمكن أن نقول كان في الرواية نوعين من الخطاب، خطاب ضمني دائري، أي؛ الخطاب بين الراوي والشخصيات داخل كيان الرواية، فالراوي هو المتلقي المهيمن على الشخصيات في سرد الأحداث، وخطاب خارجي، أي؛ الخطاب بين الروائي وقاريء الرواية، الذي يتجاوز كيان الرواية إلى خارجها. وبهذا؛ يحدد نوعين من المتلقي، المتلقي الضمني الدائري، الذي هو الشخصيات، والمتلقي الخارجي؛ الذي هو القاريء من خارج الرواية, وهكذا كان الروائي يجعل من الراوي والشخصيات عامة قنوات التواصل مع القاريء، وكذلك يجعل من الرواية قناتا للتواصل مع المجتمع بشكل عام، وعلى مستوياته المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وما إلى ذلك.

الرواية الناجحة هي نص مفتوح له بداية ويمكن أن تستمر عند القاريء بعد إنهائه الصفحة الأخيرة, إنها كاللوحة الحديثة التي تخرج من مرسم الفنان ويشاهدها الناس كُلّ حسب ثقافته ورؤيته وتذوقه, فالعلاقة بين الكاتب والقاريء في الرواية هي علاقة عضوية لا يُبخس فيها دور المتلقي إطلاقا(شحيد وقصاب، 2005/ 53).

الاستنتاجات

وفي خاتمة البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- إن التواصل فعل وخطاب، وهو المنظم الأساسي للتواصل بين الذوات، وعامل أساسي لإقامة التفاهم وإقامة العلاقات بين الأفراد في المجتمع، لذا نجد علاقة وثيقة بين الفعل التواصلي والعقل التواصلي.
2- إن الخطاب الروائي؛ خطابا أدبيا تواصليا، إذ إن الكاتب عن طريق تقنية الرواية يتواصل مع المتلقي عامة، وهذا هو الخطاب التواصلي الخارجي للنص, ويقوم بإقامة العلاقة التواصلية بين الشخصيات الواردة في كيان الرواية، وهذا هو الخطاب التواصلي الضمني للنص.
3- تتواصل الرواية؛ مع القاريء تواصلا فلسفيا، وكانت الرواية وثائقية عن حياة فيلسوف عراقي وهو (عبدالرحمن)، الذي تأثر بفلسفة سارتر الوجودي، والتقى معه وارتقى به؛ إلى أن صار كتلة من الغثيان الوجودي، وهو الرابط الفلسفي بين بغداد وباريس، بين المثقفين العراقيين وجان بول سارتر في فلسفته الوجودية، ولهذا كان الخطاب التواصلي فيها؛ خطابا فلسفيا، يبحث عن ماهية الإنسان، إذاً؛ التواصل هو سؤال وجودي، وتواصل غثياني وعبثي.
4- نجد التواصل الذاتي في الرواية؛ من حيث أن الراوي يلتقي بشخصية عبدالرحمن؛ من خلال جمع المعلومات والوثائق عنه، وهذا هو التواصل الذاتي الداخلي في كيان النص، أي: تواصل غير مباشر بين الراوي والمجتمع في كيان النص، ويتواصل الروائي مع المتلقي تواصلا ذاتيا، إذ إنه جعل من الشخصيات الواردة في الرواية وعاءاً للتواصل، وقناةً للخطاب معهم، وهذا هو التواصل الذاتي الخارجي للنص، أي: تواصل مباشر بين الروائي والمجتمع من خلال نص الرواية.
5- وجد في الرواية التواصل الجسدي بين الشخصيات الواردة فيها من جهة؛ والروائي مع المتلقي من جهة أخرى؛ عن طريق اللجوء إلى لغة الجسد، حيث تتحدث الشخصيات بعضهم مع بعض بالإيماءات والإشارات الجسدية وقرائنها، وإن الجسد لايفهم سياقاً ونصا إلا بتراتب الجمل الحسية، المتمثلة بالإيماءات والإشارات بالأصابع واهتزاز الرأس و النظرة، وكذلك بالقرائن الجسدية مثل اللباس والتنفس وما إلى ذلك، فعلى سبيل المثال في الرواية **"كانت دلال تلهب الفيلسوف بفمها الأحمر القاني الملتهب".**
6- إن الرواية خطاب، والقاريء متلقي، ومن هذا المنظور؛ نجد التواصل بين الروائي والمتلقي، تواصلا نصياً. فالخطاب هو قناة من قنوات إقامة التواصل من أجل التفاهم، والخطاب في هذه الرواية؛ خطاب ضمني بين الشخصيات الواردة في كيانها، وخطاب ظاهري بين الروائي والمتلقي، إذاً فالعلاقة؛ علاقة عضوية وثيقة.

المصادر والمراجع

1- ابراهيم ابو عرقوب، تعديل السلوك الانساني، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، دار حنين للنشر والتوزيع، ط2.
2- احمد بن عبدالله بن صقير العريني، مدى توافر مهارات الاتصال غير اللفظية لدى هيئة التدريس في كلية العلوم بجامعة القصيم من وجهة نظر الطلبة، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2011م.
3- احمد عبداللطيف، الاتصال في الخدمة الاجتماعية، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، (د.ت).
4- احمد ماهر، كيف ترفع مهاراتك في الاتصال، الدار الجامعية للطبع والنشر، الاسكندرية، 2003م.
5- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورجين هابرماس الأخلاق والتواصل، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان 2012.
6- آلن بيز، لغة الجسد(كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم)، تعريب: سمير شيخاني، الدار العربية للعلوم، بيروت،1997م.
7- بلعباس نادية، أنماط الاتصال وعلاقتها بجودة الحياة الزوجية، أطروحة دكتوراه-الجزائر، 2015م.

8- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ت (711)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، الجزء 1.
9- جمال شحيد والكتور وليد قصاب، خطاب الحداثة في الأدب الأصول والمرجعية، ط1 ، دار الفكر – دمشق 2005.
10- جميل حمداوي، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي شبكة الألوكة ،ط1، 2015م.
11- جيهان احمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاعلام، دار الفكر العربي، ط2، 1978م.
12- حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، الدار البيضاء، ط1 ، المغرب 2005.
13- رواية "بابا سارتر" ، علي بدر، ط1 ، منشورات المتوسط – إيطاليا 2016.
14- سليم حمدان، اشكال التواصل في التراث البلاغي العربي،2009م.
15- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب 2003.
16- السيد محمد محمود العودة، أساليب الاتصال والتعبير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية, 1992م.
17- صفاء فنيخرة، أثر المتلقي في الاسلوب الادبي في التراث النقدي، مجلة أصول الدين.
18- عريب محمد عيد، علم اللغة الحركية بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت –لبنان 2010.
19- عصام محمد المشهراوي، في الشعر الجاهلي دراسة وصفية تحليلية، اطروحة دكتوراه في الخطاب الادبي الاعلامي، جامعة وهران-الجزائر، 2012م.
20- عويش فاطمة ، التواصل اللغوي بين الأستاذ والطالب في الطور الجامعي، رسالة ماجستير، جامعة ابي بكر بلقايد-الجزائر، 2015م.
21- فاطمة بنت مصلح القحطاني، الحوار الذاتي مدخل التواصل الايجابي مع الأخرين، مجلة مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني-الرياض، ط1، 2011م.
22- فاضل ثامر، الوحدات السردية للخطاب دراسة مترجمة، ط1 ، دار آراس للطباعة والنشر – أربيل/ كوردستان العراق 2012.
23- محمد سعيد حسين مرعي، الحوار في الشعر العربي القديم-شعر امرئ القيس انموذجا، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد الرابع، العدد 3نيسان 2007م.
24- محمد مفتاح الخطاب، تحليل الخطاب الشعري-استراتيجيات التناص، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت،1985م.
25- مهدي حسن نصرالله، قصدية الخطاب في البيان والتبين، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية-كلية الآداب،2015م.
26- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ت: محمد برادة، ط1، دار الفكر للدراسات والنش والتوزيع، القاهرة 1987.
27- هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ت: د.فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة وزارة الثقافة، سوريا 1995.
28- هاني السلمان، لغة الجسد، كيف تقرأ أفكار الآخرين حركاتهم، دليلك لتطوير شخصيتك، دار الإسراء، عمان – الأردن 2005.